المستوى المعاشي للأسرة الأندلسية من القرن الثالث إلى القرن السادس الهجري (التاسع الميلادي– الثاني عشر الميلادي)

The Level of living for the Andalusian family From the third century until the sixth century AH (Ninth century - twelfth century AD)

م.د. رغد جمال مناف

قسم التاريخ – كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

www.mercj.journals.ekb.eg

م.د. رغد جمال مناف

الملخص:

احتلت الأسرة مكانة مميزة وخاصة في الدين الإسلامي باعتبارها تمثل الركن الأساسي في تكوين المجتمع الإسلامي الواعي، يلتزم كل فرد فيه بمهام مطلوبة للوصول إلى المستوى الذي أراده الإسلام لبناء الأسرة المتضامنة والمتكافلة والمتعاونة فيما بينها لحياة ملئية بالسعادة والتفاهم والاحترام المتبادل للارتقاء بالمجتمع الصالح والملتزم والمتعاون والهادف وفق نظم الدين الإسلامي، ومن أسباب اختيارنا لموضوع المستوى المعاشي للأسرة الأندلسية؛ لأنها تشكل جانبًا مهمًّا في حياة المجتمع، لنتعرف على عاداتها وتقاليدها وطبيعية العلاقات الاجتماعية من حيث أمور وشروط الزواج والطلاق وغيرها، ومن ثم أخذنا الحديث عن الأم ومكانتها الكبيرة عند المشارقة والأندلسيين، وأيضًا العلاقات الأسرية بين الأب والإخوان والزوجين ومكانة المرأة في المجتمع الأندلسي مستندين في بحثنا إلى الأبيات الشعرية التي تعدّ موردًا أساسيًّا ومنهلًا خصبًا للتعرف بكل ما يخص الأسرة الأندلسية ومستوى معيشتها اقتصاديًّا، وهل اختلفت هذه الأسرة عن الأسرة في المشرق؟ متخذين أمثلة للأسر الغنية كالحكام والأغنياء والفقيرة والمتوسطة وكيفية معيشتها وما هي الموارد الأساسية لعيشها.

Abstract:

The family has a special status especially in the Islamic religion as it represents the cornerstone in the formation of the conscious Islamic society, where everyone is committed to the tasks required to reach the level that Islam wants to build a cohesive, cooperative and cooperative family for a life full of happiness, understanding and mutual respect to promote a good, committed and cooperative society. Islamic religion systems, and the reasons for choosing the subject of the standard of living for the family of Andalusia because it is an important aspect of the life of society, to recognize the customs and traditions and the nature of social relations in terms of conditions and conditions Divorce and others, and then we took the talk about the mother and its great status in the East and the Andalusians, and also the family relations between the father and brothers and the couple and the status of women in the Andalusian society based on our research to the poetic verses, which is a fundamental resource and fertile to know all about the Andalusian family and its standard of living economically, Did this family differ from the family in the East, taking examples of rich families such as rulers, rich and poor and medium and how to live and what are the basic resources for living.

M.E.R.C ISSN 2536-9504

المقدمة:

لابد من تسليط الضوء على مستوى المعيشة للأسرة الأندلسية ومدى تأثيره على الحياة الزوجية والأسرية، قد يختلف المستوى المعاشي باختلاف الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأسر الأندلسية، فهناك على سبيل المثال الشريحة الغنية يميل أفرادها إلى قضاء الوقت باللهو والراحة المفرطة وتحوي هذه البيوتات على خدم لإدارة أعمال المنزل.

١–دور الأسرة الأندلسية في المجتمع:

أولى الدين الإسلامي الأسرة أهمية خاصة لما لها من دور فعال يسهم في بناء إنسان صالح يشارك في خدمة المجتمع ورقيه وتنمية قدراته، فقد قال الله تعالى عن أهمية الأسرة في أكثر من آية قرآنية ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ (١).

قد يختلف المستوى المعاشي باختلاف الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأسر الأندلسية، فهناك على سبيل المثال الشريحة الغنية يميل أفرادها إلى قضاء الوقت باللهو والراحة المفرطة وتحوي هذه البيوتات على خدم لإدارة أعمال المنزل. (٢)

كما تلعب الأقدار في حياة الناس دورًا كبيرًا في تغير الوضع الاقتصادي كما حدث لعائلة المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية*،فبعد العز والملك، نرى بعضًا من أفراد عائلته يعمل في الغزل لسد متطلباتهم اليومية الحياتية من خلال قصيدة المعتمد نفسه وكيف انتقل بهم الحال من ملوك إلى أناس تعمل بيدها. (٣)

عرفّ عن الأندلسيين بأنهم أهل احتياط وتدبير في المعاش، وحفظ لما في

أيديهم وخوفهم من ذل السؤال، فنراهم يذخرون المواد الغذائية حبوب وفاكهة، فجاءت الأمثال الأندلسية لتؤكد بقولهم: " أرجع فلس بقى لك"، واخلط القمح تصلح".(٤) ويبدو أن السبب المهم في الادخار، لعدم الوصول إلى درجة الفقر، كما أسهمت بعض ربات البيوت في رفع مستوى عائلتها المعاشي من خلال امتهانها لعمل ما، وللغرض نفسه نجد أن بعض الأبناء يعملون مع آبائهم متوارثين الصنعة.

وقد تعددت صور التعاون والمحبة في بعض الأسر مما أدى إلى قيام والد الزوجة بمساعدة زوج ابنته، فيعرض عليه أرضًا يعمرها ويقتات منها هي وأسرته، ولأجل أن يواكب الشخص الازدياد الحاصل في الأسعار لاسيما الشخص الذي ليس له إلا أملاك قد أجرها في وقت ما نراه يلجأ إلى مطالبة المستأجر يرفع الإيجار. (٥)

ومن دلائل ارتفاع المستوى المعاشي للفرد أو الأسرة احتواء بيوتهم على الخدم أو امتلاكهم ضياعًا كتلك التي كانت لابن حزم في السهلة غرب قرطبة وبستانًا في داره التي تشرف على دور قرطبة، ومما يلحظ وجود أفراد في المجتمع الأندلسي ذوى مستوى معاشي واطىء، بحيث لا يستطيعون تغير ملابسهم الممزقة كما ذكرهم الشاعر. (٦)

٢- سنتحدث عن المستوى المعاشي للأسرة الأندلسية وتأثيرها على الجوانب الحياتية ومنها:

أ-الزواج:

لبناء أسرة صالحة وسليمة خالية من المشاكل، لابد من توافر مجموعة من الأسس لكلا الطرفين (الرجل والمرأة) والتي على أثرها يتم تكوين الأسرة، ويتم ذلك عن طريق الاستفسار ممن يعرفون المرأة أو الرجل ويلحظ أن العرف السائد بأن يكون الرجل هو الباديء بالسؤال عن المرأة التي يريد الارتباط بها. (٧)

وكان الرجل عندما يريد الزواج بامرأة مطلقة، فنجده يتوجه بالسؤال إلى طليقها

ما هي الأسباب التي فرقت بينهم، فلا عجب أن نرى رجلا يصف طليقته بحسن الخلق كما حصل مع أبي العلاء بن عبد الحق المرسي عندما سأل أحد أصحابه ما إذا كان يريد الزواج، فأشار الأخير إلى طليقته ذاكرًا " أنها كانت في عصمته ثم خرجت عني... فهي بمكان لمن يرغب في الدين والدنيا فتزوجها".[٨] ومن مقومات الأسرة الناجحة وجود تكافؤ بين الرجل والمرأة من حيث المستوى الثقافي، فهذا قاضي مدينة لوشة تزوج من ذات معروفة بالأحكام والنوازل وصفوها له، ونجد أن قاضي غرناطة أبو القاسم بن هشام بن أبي الحمزة تولى القضاء سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م) قد فعل مثله، فتزوج من امرأة وصفت بأنها " فاقت نساء زمانها في الذكاء والفهم في كل نوع من أنواع العلم". ومن الأمور الأخرى التي تسهم في تكوين زواج ناجح النسب، فهو أمر ضروري لكلا الطرفين، فقد نظر الشاعر ابن خفاجة إلى هذه الناحية أكثر من غيرها عندما زوج أخته إلى الشاعر ابن الزقاق*الذي كان فقيرًا، ولكنه كان ذا نسب معروف واذا لم يراع النسب في الزواج فانه يصبح محل انتقاد. [٩] ومن مقومات الزواج لبناء أسرة متكافئة جمال الشكل للرجل والمرأة فهذه الشاعرة نزهون بنت القليعي* قالت في رجل قبيح الصورة تقدم لخطبتها. [١٠]

وعلى الرجل أن يوفر للمرأة مستوى معاشي يليق بها، كما فعل الخليفة عبد الرحمن بن هشام (المستظهر بالله)(ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، بقصيدة وجهها إلى أم خطيبته (حبيبة) [١١]، وليس فقط الرجل هو من يسأل عن المرأة، فإن ولي المرأة هو الآخر يستفسر عن الرجل حتى يشهد عنه قوم أن غلانا كف في حاله وماله، وتوجد العديد من الطرق للخطبة كأن تقوم امرأة من المسنات بهذا الدور؛ لأنها كاتمة للأمر ولديها معرفة جيدة بعائلة المرأة وبالمرأة نفسها، فتستطيع بقدرتها وإقناعها بتهيئة الظروف المناسبة لإجراء الخطوبة، وهذا ما أكده المورخ ابن حزم الأندلسي عن المرأة المسنة " بأن أحب أعمالها إليها وأرجاها للقبول عندها سعيها في تزويج يتيمة"[١٢]. وفي بعض الحالات قد يعجب ولي أمر البنت بشخصية رجل يعرفه معرفة خاصة، فيبادر هذا

الولي إلى تقديم ابنته كزوجة لذلك الشخص كما فعل أبو داود سليمان بن نجاح الذي زوج ابنته لأحد تلاميذه المدعو أحمد بن محمد الأنصاري حيث قال له: " يوما أتحب أن أزوج بنتي قال فخجل الفتى من ذلك".(١٣) لابد من التنوية إلى أن سوء الأوضاع الاقتصادية للبلد قد تؤثر سلبًا على المرأة، فتبدأ بإهمال نفسها وتتغير محاسنها وتدهب نظارتها، فينعكس على وضعها الاجتماعي عمومًا، وعندما تمر البلاد بأزمة سياسية تصبح البنت مصدرًا قلقًا لذويها، فهذا الأمير عبد الله بن بلقين الذي زوج اختيه قائلًا: " إننا أردنا اكتساب الحسنة مع الستر وأنه متى عرض عارض كان البعل مكتفيًا بامرأته، وأثناء الخطبة يجري بحث بعض الأمور مع ولي المرأة كالصداق والمؤجل ومقداره ووقت سداده وبعد الاتفاق يتم توثيق ذلك كله في عقد القران، وقد يحدث خلاف بين الطرفين حول متطلبات الزواج مثل الجهاز ومقدار المهر، وهذا مبني على أساس قول الرسول (ﷺ) « ليس للوالي مع الثيب أمر»، و«الثيب أحق بنفسها من وليها، البكر يستأمرها أبوها وآذانها صماتها». وليس من الضروري أن يكون ولي أمر المرأة والدها على أن الأسباب في ذلك كثيرة منها عدم أهليته أو أنه أوصى رجلا بأن يتولى أمرها حين وفاته عندها يكون للموصى إليه حق في اختيار الزوج للمولى عليها، أو قد يكون الوالي من أقارب البنت كالعم، وفي هاتين الحالتين لابد من أن يشهد على التولية أكثر من رجل واحد؛ لأن الوكالة لاتثبت في النكاح بالشاهد الواحد. (١٤)

ومما يبدو أن كلا الطرفين (الرجل والمرأة) هما من يذهبان إلى القاضي لإجراء العقد في حين إننا نجد في سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) ذهب جمع من فقهاء طليطلة ونبهائها في وفد لغرض إتمام عقد قران ابنة المأمون بن يحيى بن ذي النون، للمظفر بن عبد الملك صاحب مدينة بلنسية، وأصبحنا أمام حالتين تمثلت الأولى: بعامة الناس وهو أمر طبيعي أن يذهبوا إلى قاضي الأنكحة لإجراء اللازم، والثانية: بالخواص من رجال الدولة. (١٥) كما لم يكن للصداق حدً معين على قول ابن سهل: " ولاحد لأكثره وأقله محدود وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيلا أو ما قيمة إحداهما، ولا يجوز التواطؤ على

إسقاطه ويجوز تأخير فرضه إلى حين البناء، ومما يلحظ أن النظام الأسري هو نظاما أبويا، وعلى ذلك، فإن الرجل هو المسؤول عن الإنفاق، كالسكن والكسوة وشراء المواد الغذائية بدليل ما أورده ابن سهل "عنوان النفقة واجبة للزوجة على زوجها إذا ابتنى بها... شريفة كانت أو وضيعة أو غنية أو فقيرة ولا ثمة حد لها إلا على قدره وقدرها مع اجتهاد السلطان وعلى حال الزمان." على أن القاضي هو من يحدد تفاصيل الاتفاق إذا لم يتفق الزوجان على ذلك بعد أن تطالب الزوجة منه ذلك، فيفرض لها من المعاش قفيز قمح في الشهر... ويفرض لها من... الزيت والخل على اجتهاده وعلى حال البلد... ويفرض لها اللحم مرة بعد المرة لا في كل ليلة والوسط بالجمعة يومًا وليلة... ولا يفرض لها...عسل... ولا جبن ولا غيره." [١٦] ومن بعد الاتفاق على ما تقدم نرى أن الرجل يقدم إلى خطيبته هدية ابتغاء المكافأة والتي نسميها اليوم (بالنيشان)، كما فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي تزوج سنة (٥٧٤هـ/١١٧٦م) من ابنة ابن مردنيش، فأرسل إليها ألف دينار عينا وقال: أنما وجهت لها بهذا العدد تأنيسًا، ومما يلحظ أن العادات السائدة للمجتمع الأندلسي تقديم الزوج هدية العرس للمرأة، وليس له الحق بإرجاعها وحتى وأن انفصل الزوج عن زوجته مع وقوع البناء، وبعد عقد القران، يبدأ أهل العروس بتجهيز ابنتهم بجهاز يطلق عليه اسم(الشورة)، حيث اشتهرت مدينة مرسية بذلك، " أنها بلدة تجهز منها العروس التي تنتخب شورتها وفي بعض الأحيان يكون زواج البنت مكلفًا أو فوق طاقة ذوى الدخل المحدود مما يدفعهم إلى الاستدانة كما حدث مع أحد أصحاب أبي بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلا الذي كان يلعب الشطرنج، فأوجس أبو بكر في صاحبه هما، فقال: " مالخاطرك؟ فقال:... في وقتنا هذا ثلثمائة دينار إلاخمسة ".[١٧] وكان على الزوج أن يعد وليمة تتناسب ووضعه المادي وأن يستدعي زمارًا الغرض منها إشهار العرس، وقد اعتاد أبناء الشريحة العامة إقامة أعراسهم في الشوارع العامة "كا يقام العرس في بعض الشوارع بقرطبة والنكورى الزامر قاعد في وسط الحفل وفي رأسه

قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي وفرسه بالحلبية المحلاة يمسكه غلامه، ومما يلحظ أن بعض الأعراس يتخللها الشراب، فاحتاط أهل الأندلس لهذا الأمر، فيوخذ سلاح الشبان عند إقبالهم العرس قبل أن يشربوا، وإذا ظفر بالمعربد كتف واهبط إلى صاحب المدينة، وهذا يخالف الشرع الإسلامي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾[١٨] على أن بعض العوائل ذات الوضع الاقتصادي الجيد تقوم باستدعاء طباخ يعمل لهم كل ما يحتاجونه في الوليمة بعد أن يتفقوا معه على الأجر الذي سيأخذه ثم يقوم العريس بدعوة الأصدقاء والأقارب ففي سنة (٤٧٧هـ/١٠٦٤م) وجه المستعين بالله (ت في ق ٤هـ/ ١٠م) حاكم سرقسطة دعوته إلى كبار الكتاب والوزراء لحضور حفلة زفافه، إذن فإن تلك العوائل ممن ينتمون إلى الشريحة الغنية، ولذا نجد أن حفلاتهم تتصف بالإسراف، فقد أشار إلى ذلك ابن الأزرق متحدثًا عن حفلة عرس المأمون بن ذي النون بطليطلة التي بلغت غآية في الإسراف والبذخ والترف، في حين نذكر تزوج أبو القاسم أحمد بن الفقيه أبي بكر بن الملح من امرأة ترقص في الأعراس، وتجهز العروس نفسها لهذه الليلة فترتدي رداءً فضفاضًا وحلة ذات اللون الذي يشبه لون الزعفران، وما يلحظ من النص لماذا لم يرتدوا اللون الأبيض في العرس كما هو المعتاد عندنا؟ ولعل السبب يعود أن اللون الأبيض هو لون الحداد عند الأندلسيين. [١٩]

وفي بعض الأحيان تضع العروس على رأسها تاجًا، ويتضح ذلك في قول أبو القاسم ابن الجد (ت٥١٥هـ/١١٢١م) [٢٠]، ومن الأمور الشائعة أن تتحلى العروس بلبس الحلى. [٢١] ثم إنها بعد ذلك تستخدم الطيب، فقال فيه الشاعر ابن الجد [٢٢]، لقد كانت العروس تزف إلى بيت زوجها، فتدخل بصحبة بعض النسوة اللواتي يأتين معها، وعندما ينفردان، تتقدم الزوجة لتقبل يد زوجها، ويدعو لها بالخير، وهذا مؤشر للطاعة والاحترام المتبادل بينهما، إلا إنه هناك حالة مخالفة للعرف الذي نهجه الأندلسيون في

اصطحاب الزوجة مع ذي محرم ذلك ما أشار إليه ابن عبد الرؤوف بقوله: "ويؤمر الناس بمنع ما أحدثه العامة من جلاء العروس على غير ذي محرم فيها".[٢٣] ومما يبدو أن الزوج هو الذي يذهب إلى بيت أهل العروس لاصطحاب زوجته وهذا ما تحق عليه في يومنا هذا.

ومن الأمور الرائعة التي توضح لنا مدى أهتمام أهل العروس بمستقبل أبنتهم وعلاقتها بزوجها تلك التوصيات التي يوصي بها الأب ابنته والتي من شانها تقوية العلاقة الزوجية مما ينعكس ايجابا على بناء أسرة قوية صالحة كقول المعتمد بن عباد لابنته بثينة. [٢٤]

ومن الملفت للنظر أن بعض الزيجات قد تمت لمصلحة ما أو لوجود علاقات سياسية مثالًا على ذلك زواج المعتمد بن عباد من بنت مجاهد العامري، وزواج صاحب سرقسطة أبن هود (ت ٤٧٤هـ/١٠٨١م) من ابنة قائد بلنسية في عهد حاكمهاالظافر اسماعيل بن ذي النون (القادر)(ت ٤٣٥هـ/١٠٤٣م) حيث طمع ابن هود في ملك القادر وقد تم ذلك بواسطة هذا القائد، وكذلك عندما تزوج يوسف بن عبد المومن في عبوره إلى الأندلس سنة(٥٦٧هـ/١١٧١م) من إحدى بنات أبن مردنيش الذي دخل في طاعة يوسف هذا، عندها نراه قد أحسن إلى إخوانها الثمانية فصاروا لديه في أعز منزلة، ولاننسى أيضًا موقف مجاهد العامري حيث كان له "... عدة بنات أحسن من الشموس... فتبارى ملوك الطوائف في نكاحهن... واغتنم هو ذلك منهن وأذكاهن عليهم عيونًا وبناهن بينه وبينهم دروبًا... فسما إليه ابن هود".[٢٥]

٣–العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة:

أ– العلاقة بين الزوجين:

ركز ديننا الإسلامي على وجوب حسن المعاملة والعشرة بين الزوجين استنادًا

إلى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [٢٦] مما يلحظ من النص القرآني الهدف من بناء أسرة سليمة وقويمة تنعكس بالتالي على بناء مجتمع قويم، ومن دلائل حسن العلاقة بين الزوجين الوفاء المتبادل بينهما، فقد قال ابن حزم عن زوجة أحد معارفه المتوفين " بلغ من أسفها عليه أن باتت معه في دثار واحد ليلة مات وجعلته آخر العهد به وبوصله، ثم لم يفارقها الأسف بعده إلى حين موتها. [٢٧] وعندما نتصفح شعر المعتمد بن عباد نجد فيه الكثير من الأحاسيس والمشاعر تجاه زوجته اعتماد الرميكية،موضحا صورة الزوج الوفي لزوجته بعدما أخذتها الظنون والشكوك حيث خافت من أن تفقد زوجها فقال مطمئنا لها. [٢٨]

مما يبدو لنا أن اعتماد زوجة المعتمد بن عباد التي وقفت إلى جانبه بعد أن فقد ملكه، فهي نموذج في وفاء الزوجة لزوجها التي تحبه فعاشت معه بالأسر، وهي تناديه ياسيدي، ومما يلحظ إلى بعض العلاقات الزوجية وجود الحب ونكران الذات من قبل الزوج وذلك إكراما لزوجته.

ومما يبدو لنا أن من أسباب تصدع والانفكاك الأسري هو أن بعض الرجال يميلون إلى الراحة واللعب على هواهم متناسين مسؤولياتهم تجاه أسرهم وأولادهم، حيث قال الشاعر عن التفكك الاسري. [٢٩]

٤- سنتحدث في بحثنا عن مكانة الأم والأب عند أبنائهم وطبيعة التعامل معهم في داخل الأسرة الأندلسية:

أ-الأم:

أعطى الإسلام مكانة ومنزلة سامية للأم كقوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ

حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣٠]، وأعطاها الرسول (ﷺ) قدرًا كبيرًا من الإجلال، ومما يدلل على علو مكانتها سماع شكواها من قبل والي الأمر والتشدد وعقاب من يوذيها، كما حدث في عهد الحاكم باديس بن حبوس (ت في ق ٤هـ/١٠)عندما "وقفت له يومًا عجوز فشكت عقوق ابنها وأنه مد يده إلى ضربها، فأحضره وأمر بضرب عنقه، فقالت له يا مولاي ما أردت إلا ضربه بالسوط وأدبه، فقال لها: لست بمعلم الصبيان، وضرب عنقه".[٣١] ونتوصل من هذا النص مدى الحب والحنان التي تكنهما الأم لابنها، وأيضًا نلمس نفس الشيء في والدة عبد الله بن بلقين الذي كاد أن يضرب عنقه من قبل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين(ت٥٠٠هـ/١١٥٣) في عبوره الثالث، حيث أخذت تلاطف الأمير لأجل إطلاق سراح ولدها من السجن، فتم لها ذلك، ولم يقتصر موقفها على ذلك بل نلاحظها تقدم الدعم لابنها في أمور كثيرة[٣٢]

أورد الشاعر جعفر بن أحمد بن خلف (ت٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) عن امرأة طلبت منه أن يرثي ولدها. [٣٣] ونستنتج أن لأهمية ومكانة الأم في مجتمعنا الإسلامي نشاهد حالة التسمية باسم الأم الذي يكنه الأبناء لها، وكما نجد أن ابن أبي الصلت رفع من منزلة والدته وجعلها كنجم عال ويتمنى أن يبكيها دم بدل الدموع. [٣٤]

ب–الأب:

للرجل في المجتمع الإسلامي دور مهم في إعالة ورعآية الأسرة في المجتمع، إضافة إلى واجبه التربوي الموازي لواجبات الأم في هذه الناحية لإنشاء أسرة صالحة قويمة، وفيه قال الشاعر ابن خفاجة مبينا الخطوات الواجب اتباعها في توجيه الابن امتداء بالنظرة التي بها ينبه الأب ابنه ومن ثم بالزجر والتوبيخ. [٣٥] **إذن فالنظام الأسري** هو نظام أبوي والدليل ما قمت به بثينة بنت المتعمد بن عباد حاكم أشبيلية

التي سبيت وبيعت لأحد التجار عندما دخل المرابطون المدينة وسيق والدها إلى مدينة أغمات أسيرًا، فقد أراد ابن التاجر أن يتزوجها إلا إنها أبت ذلك حتى خاطبت والدها تخبره بالأمر فوافق على ذلك، ونلحظ فعل الشاعر ابن قزمان نفس الشيء، فحصل على مبلغ (ثلاثمائة دينار) عندما مدح صاحب مدينة بلنسية، فأخذ ابن قزمان المال ورماه في حجر والده الذي اشترى به زيتا، في حين صور لنا الشاعر أبو القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسميسر عاش في فترة ملوك الطوائف بعضا من الآباء لايرغبون بأن يكون لديهم أولاد لاكرها لهم بقدر ماهو خوف عليهم من أن تصيبهم مصيبة أو يكونوا ذوى حاجة في لو مات وتركهم صغارًا. [٣٦] وعندما يخطى الابن بحق والده نراه يبذل قصارى جهده لاسترضائه، كما فعل المعتمد بن عباد مع والده حينما غضب عليه بسبب هزيمته سنة (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)، حيث لم يستطع الاستحواذ على مدينة مالقة، فأرسل المعتمد راجيا عفو والده عليه. [٣٧]

يبدو للباحثة إن هذا الاستعطاف المتوالي له دلالة واضحة في احترام والود والمحبة التي يكنها الابن لأبيه بغض النظر عن المنصب الذي يتولاه الأب.

لقد حظيت الأنثى في الأندلس بحب وحنان والديه حالها حال الولد، وكانت بعض البنات لاسيما المنحدرة من عائلة فقيرة عرضة لوقوع في الأسر في حال تكون هناك اضطرابات سياسية بالبلد، فترى هذه العوائل أن الموت سترا لبناتها وهذا ما صوره الشاعر أبو محمد بن بسام الشنتريني (ت ٥١٧ هـ/ ١١٢٣م). [٣٨]

ت–الطلاق:

في بعض الحالات يكون الطلاق حلا لكل مشاكل الأسرة في حال استحالة الحياة بين الزوجين حتى وإن كان مكروها استنادًا إلى قال الرسول الأكرم (ﷺ) « أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»،[٣٩]، وهناك العديد من الأسباب التي تدفع الزوج إلى الانفصال كالذي حدث مع إبراهيم بن همشك عندما زوج ابنته من محمد بن سعيد بن

مردنيش؛ وبسبب خلاف وقع بينهما فقد دفع هذا الخلاف بمحمد إلى أن يطلق زوجته في سنة (٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، وقد تكون أسباب الطلاق مختلفة منها سوء أخلاق الرجل واستعمالها القسوة في تعامل زوجته كضربها، والعكس صحيح أحيانًا تكون الزوجة أخلاقها سيئة سليطة اللسان سخيفة الألفاظ فاضحة سر زوجها وهذا ما بينه الشاعر أبو هند الداني الذي عاش في عهد الطوائف من زوجته فقال يشكو حاله في قصائده. (٤٠)

النتائج:

١- تبين أن المجتمع الأندلسي مجتمع مختلف الفئات والطبقات فيهم الغني والمتوسط والفقير كلا حسب إمكاناته وقدراته المادية وهذا واضح من خلال الأبيات الشعرية.

٢- توصلنا كحال أي مجتمع وجود طبقة غنية متمثلة بالحكام الأثرياء ومتوسطة كعامة الناس منهم الأدباء والشعراء.

٣- المستوى المعاشي للأسرة الأندلسية كان مستوى جيد يجهزون العروس مثالًا على كلامنا بأحسن الجهاز وغيرها من مستلزمات العرس وتطرقنا إلى مقومات الزواج وحتى حالات الطلاق.

٤- وجدنا من خلال بحثنا أن هناك طبقة غنية كالحاكم الإشبيلي المعتمد بن عباد عندما أسر من قبل المرابطين، أصبح شخصًا عاديًا وأن أحد أولاده اشتغل بالغزل ولم يستنكف من العمل.

٥- من طبيعية أهل الأندلس الاحتياط للغد ويدخرون ما يستطيعون من المؤن للمستقبل وهذا واضح من خلال النصوص الأندلسية.

الهوامش

(١) سورة الأعراف، آية ٨٨.

(٢) يقول الشاعر:

هبت تعاتبني زهر وقد علمت أن العتاب شجا في القلب أو شجب

قالت: قعدت وقام الناس كلهم ألا يعللك الأثراء والرتب، ينظر: الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة،(ت٥٢٥هـ)، ديوان الأعمى التطيلي، تح: إحسان عباس، مطبعة عيناتي الجديدة، بيروت، ١٩٥٣، ص١٦.

*هو أبو القاسم المعتمد على الله محمد بن عباد ثالث وآخر ملوك بني عباد في إشبيلية، أسر في عهد المرابطين في أغمات إلى أن توفي(٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن سعيد،(ت ٧٧٦هـ)، أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، لبنان،١٩٥٦، ص٢٣٥.

(٣) فقال: **فيما مضى كنت بالأعياد مسرورًا فجاءك العيد في أغمات مأسورا**

ترى بناتك في الاطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قطميراً. ينظر: آبن قزمان، أبو بكر بن عبد الملك،(ت٥٥٥هـ)، ديوان ابن قزمان، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مجريط، ١٩٨٠، ص١٥٤.

(٤) ينظر: ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي القضاعي،(ت ٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تح:عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥، ج٢، ص٥٩٣؛ ابن سعيد، أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى،(ت ٦٨٥هـ)، المغرب في حلى المغرب، تح: خليل المنصور، ط١، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص٣٢١.

(٥) **وكان اكربت دويرة من إنسان برباعي سكنت فيها زمان**

ثم قال لي نريد ثلاث أثمان وتزيد ولو طلب مثقال. ينظر: ابن قزمان، ديوان ابن قزمان، ص٥٦٣.

(٦) **ملاى هذى بردتي أخلقت وليس شيء دونها أملك**

وصرت من يأس ومن فاقة أبكي إذا أبصرتها تضحك، المقري، أحمد بن محمد التلسماني،(١٠٤١هـ)، نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ج٤، ص١٨٦.

(٧) **وهل يلزم الإنسان إلا اختياره وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت**، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد(ت ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تح: حسين كمال الصيرفي، تقديم: إبراهيم الإبياري، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٦٤، ص٣٦.

(٨) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى،(ت ٦٨٥هـ)، اختصار القدح المحلي في تاريخ المحلي، تح: إبراهيم الإبياري، قراءة طه حسين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص٢٦.

*هوعلي بن عطية بن مطرف أبو الحسن اللخمي من أشهر شعراء الأندلس ولد في بلنسية ت(٥٢٨هـ/١١٣٤م)، ينظر: الزركلي، خير الدين، الإعلام، ط٣، بيروت،(د–ت)،ج٣، ص٤٥.

(٩) **عربي مزوج عبده بنت أخته**

قبح الله مثل هذا ورماه بمقته، ينظر: ابن الزقاق،علي بن إبراهيم بن عطيه، (ت٥٧١هـ)، ديوان ابن الزقاق البلنسي، تح: عفيفة محمود ديراني، مطبعة سيما، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٠.

(١٠) **عذيري من أتوك اصلع سفيه الاشارة والمنزع**

يروم الوصال بما لو اني يروم به الصفع لم يصفع

برأس فقير إلى كبية ووجه فقير إلى يرقع، ينظر: ابن الآبار، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله البلنسي القضاعي،(ت ٦٥٨هـ)، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: إبراهيم الإبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٧، ص١٦٤.

(١١) **وماذا عن أم الحبيبة – إذ رأت جلالة قدري – أن أكون لها صهرا؟**

جعلت لها شرطًا على تعبدي وسقت إليها في الهوى مهجتي مهرًا

فإن تصرفيني يا ابنة العم تصرف –وعيشك – كفؤا مد رغبته سترًا

جمال وآداب ولفظ إذا ما شئت أسمعك السحرا،ينظر: ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٣–١٤.

(١٢) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٥٠؛ ابن سهل، أبو الإصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي، (ت٤٨٦هـ)، الأحكام الكبرى، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، مجلة أوراق، ١٩٨٣، العدد ٥–٦، ورقة ٦١.

(١٣) المراكشي،عبد الملك أبي عبد الله محمد بن محمد الأوسي الأنصاري،(ت ٧٠٣هـ)، الذيل

والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، مطبعة سيما، بيروت،١٩٦٥، س١، ق١، ص٤١٨و ص٤٧٨.

(١٤) ينظر: ابن رشد،أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي،(ت٥٢٠هـ)،فتاوى ابن رشد، تـح: المختـار بـن طـاهر التليلـي، ط١، مؤسسـة جـواد، بيـروت، ١٩٨٧،ج١، ص٢٧٣-٢٧وص٦٠٦.

(١٥) الكناني،أبو عبد الله محمد،(ت٤٢٠هـ)، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، مطبعة سيما، بيروت، ١٩٦٦،ص٣؛ ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب(ضمن ثلاث رسائل أندلسية)، تح: ليفي بروفنسال، مطبعه المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥، ص٨٠.

(١٦) ابن سهل، المصدر نفسه، الورقة ص١٠٤و١٠٨-١٠٩؛ خلاف، محمد عبد الوهاب،قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي-الخامس الهجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص٢٢٩.

(١٧) ينظر:ابن عذارى، أبو عبد الله محمد،(ت ٧١٢هـ)، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، (القسم الخاص بالموحدين)، نشر:اميروس هويسي مواندە وآخرون، داركريماديس للطباعة، تطوان، ١٩٦٦، ص١٠٨

(١٨) سورة المائدة، آية ٩٠.

(١٩) **إذا كان البياض لباس حزن بأندلسي فذاك من الصواب**

ألم ترني لبست بياضا لأني قد حزنت على الشباب. ينظر: ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني،(ت ٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩، ق٣، ج٢، ص٣٨٤ و، ق١، م٢، ص٩١٤.

(٢٠) **لها من طراز الحسن وشيء مهلهل ومن صنعة الإحسان تاج مرصع**، ينظر: ابن خاقان، أبو نصر بن محمد بن عبد الله القيسي، (ت٥٢٩هـ)، قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، تح: حسن يوسف خربوش، ط١، مكتبة المنار للطباعة والنشر،الأردن، ١٩٦٩،ج١، ص٣٢٥.

(٢١) **خذها عروس محافل لاتجتلى إلا بحلي علاك فوق تريب**

لم يخرج ال الأب يغوص في البحور قريب، عبدالجبار،(ت٥٢٧هـ)، ديوان ابن حمديس، تح: إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠، ص٦٢.

(٢٢)**عروس جلاها مطلع الفكر فانثنت إليها النجوم الزاهرات تطلع**

زففت بها بكرا تارج طيبها وما طيبها إلا الثناء المضوع، ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٣١٨.

(٢٣) ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص٨٣.

(٢٤) **بنيتي كوني به برة فقد قضى الدهر بإسعافه**، ينظر: أبو القاسم محمد بن عباد بن إسماعيل (ت٤٨٨هـ)، ديوان المعتمدبن عباد ملك اشبيلية، تح: أحمد بدوي،اشراف ومراجعة: طه حسين، المطبعة الأميرية، القاهرة،١٩٥١، ص١٠٨.

(٢٥)عبد الواحد المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، (ت٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، إشراف: محمد توفيق عويضة، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٣،ص٣٢١–٣٢٢.

(٢٦) سورة النساء، آية ١٩.

(٢٧) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٦٥؛ خلاف، قرطبة، ص٧١.

(٢٨) **بكرت تلوم وفي الفؤاد بلابل سفها، وهل يثني الحليم الجاهل**

ياهذه كفي، فاني عاشق من لايرد هواي عنها عاذل

حب اعتماد في الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل. ينظر: المعتمد، ديوان، ص٢٣.

(٢٩) **أنا تابب، يا لسى تقول بزواج ولا جلو ولا عرس بتاج**

ولارياسة غير اللعب بالزجاج والبيت برّ والطعام والشراب. ينظر: ابن قزمان، المصدر نفسه، ص١٥٤؛ الأهواني، عبد العزيز، الزجل في الأندلس، القاهرة، ١٩٥٧،ص٦٧.

(٣٠) سورة لقمان، آية ١٤.

(٣١) ابن سعيد، المغرب،ج٢، ص١٠٧.

(٣٢) ابن الخطيب، أعمال،ص٢٣٥.

(٣٣) **تبكي عليه بشجو فقلت لاتندبيه**

هذا زمان عجب قد عاش من مات فيه، ينظر:الأعمى التطيلي، الديوان، ص٦٩؛ ابن الآبار، التكملة،ج١، ص١٣٥.

(٣٤) **مدامع عيني استبدلي الدمع بالدم ولا تسأمي أن يستهل نجمي**

لحق بابن يبكي دما جفن مقلتي لاوجب من فارقت حقا والزم

وما تلك لو تدري قبور أحبة ولكنها حق مساقط أنجم، ابن بسام، الذخيرة،

ق٣، م١، ص٣٥١.

(٣٥) **سدد مؤامي الطفل في شأنه بلفظة تشدد بها ازره**
واكتشف باللمحة من فهمه أن المبادىء أبدًا تزره، ينظر: ابن خفاجة، ابو أسحق إبراهيم،(ت٥٣٣هـ)، ديوان ابن خفاجة،تح: سيد غازي،ط٢، الإسكندرية، ١٩٦٩، ص١٠١.

(٣٦) **يمنعني في تكسب الولد علمني بأن البنين من كبدي**
فإن بعثوا أعش على ضلع وإن يموتوا أمست من الكمد
وإن أمست قبلهم تركتهم أهون بين الأنام من وند،ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٨٩٦.

(٣٧) **سكن فؤادك لاتذهب بك الفكر ماذا يعيد عليك البث الحذر؟**
فالنفس جازعة والعين دامعة والصوت منخفض والطرف منكسر
لم يأت عبدك ذنبا يستحقه عتبا وها هو قد ناداك يعتذر، المعتمد، ديوان، ص٥، وص ٣٣.

(٣٨) **الاي أموت كنت بنا رؤوفا فجددت الحياة لنا بزوره**
حماد لفعلك المأثور لما كفيت مؤونة وستر عورة
فانكحنا الضريح بغير مهر وجهزنا الفتاة بغير شوره، ينظر: ابن خاقان، القلائد، ج٤، ص٨١٩؛ عماد الدين، الخريدة، ق٤، ج٢، ص٢٨٢.

(٣٩) أبو داود، سنن، ج٢، ص٢٥٥.

(٤٠) **أبديت سرى مذ كتمت سراك وعصيت صبري مذ أطعت هواك**
ونثرت أسلاك الدموع معرضا أني بحيث سلكت لا أسلاك
أرخمية الألفاظ غير رحيمة الدل دلك أم تهاك تهاك
يابنت معتنق الفوارس بالقنا والبيض ما أنا من يهاب أباك
ويسرها ماساءتي من حبها كالروض بضحكة السحاب الباكي. ابن رشد، الفتاوى، ج٢، ص٩٥٢ ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م٢، ص٨٩٦–٨٩٧.